



## حضور الهوية في الشعر السعودي المعاصر "الهوية الدينية نموذجاً"

عبد الرحمن بن خليفة الملحم

أصبحت مسألة علاقة الدين بالهوية موضوع دراسات وأبحاث عديدة في مختلف بلدان العالم، وباتت موضوعات هذه العلاقة والظواهر المتصلة بها تمثل مكانا بارزا لدى الكثير من المؤلفين، والتي حاولت تحليل أسبابها، وبيوعاها (١). و من المؤكد أن إبراز الهوية الدينية في العمل الشعري، وإبراز هذه النزعة، لا يعد أمرا مستحدثا، ولا شيئا طارئا، بل هو حقيقة مشهودة منذ انبلاج فجر الإسلام، فهو يملك رافدا لا يملكه أدب آخر، وهو كتاب الله، والحديث النبوي، وأنه لا جدل في أن ما ينادي به رجال الأدب الإسلامي مما ليس لنا بد على تحقيقه لكونه يهدف إلى تجسيد رسالة الأديب المسلم، إضافة إلى أن هذه الدعوة مما يفرضها علينا واقعنا الإسلامي خاصة، والإنساني عامة.

والهوية الدينية يقصد بها ((الإيمان بعقيدة هذه الأمة، والاعتزاز بالانتماء إليها، واحترام قيمها الحضارية، والثقافية، وإبراز الشعائر الإسلامية، والاعتزاز والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، وهي محصلة ونتاج التجربة التاريخية لأمة من الأمم وهي تحاول إثبات نجاحها في هذه الحياة)) (٢).

وقد اتسمت الهوية الدينية بسمات أهمها : أنها هوية متميزة عن غيرها من الهويات، وهذا التميز يعطي كل جماعة أو أمة مقومات بقائها، ويحفظ لها ثقافتها وخصوصيتها، فلا يذوبون في ثقافات أو هويات غيرهم من الأمم، إضافة إلى أنها تستوعب حياة المسلم كلها، وكل مظاهر شخصيته، وهي بذلك تامة الموضوع، محددة المعالم.

كما اتسمت الهوية الدينية بمقومات تؤمن بها ومن أهمها : أن العقيدة الإسلامية مرجع أول لحضارتنا وفكرنا وسلوكنا، وكذلك اللغة العربية لغة القرآن الكريم، بالإضافة إلى التاريخ المشترك، الذي ساهم في صناعة أبناء الإسلام وغيرهم، بالإضافة إلى مقوم التراث الذي نعني به : الناتج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها، بكل ما فيها من تجارب وأحداث، صبغت عليها ملامحها الثقافية، ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن غيرها من الأمم الأخرى التي بدورها لها أنماط تخص حياتها، وأعرافها وتقاليدها (٣). ومن المقومات أيضا التمسك والاعتزاز بهذه الهوية، وهذا التمسك من الركائز الأساسية والذي بدونه أو بهشاشته تكون الهوية معرضة لخطر الذوبان، في الهويات الأخرى، وبالتالي السقوط الحضاري (٤).

ومتأمل النزعة الإسلامية في الشعر السعودي يجدها تتضح عن غيرها من النزعات لأسباب عدة: يأتي في مقدمتها تأثير الدعوة السلفية التي أخذها بقوة داعية ومصلح، ووجد مساندة من الحكام السعوديين، وهذه الدعوة نقت الأغراض من المنازع المناهية للمقتضى الإسلامي. كما يجب ألا ننسى دور الحرمين الشريفين، وهو دور ملموس في دعم هذا التيار، فالشاعر السعودي تمكن من المعاشة المباشرة لهذه الروحانيات في مواسمها. ويضاف إلى ذلك أن جميع جوانب الحياة مشمولة بالإسلام عقيدة ومنهج حياة، فالدولة تحكم الشريعة وفي كل مناسبة تعلن تمسكها بالعقيدة، والتعليم في مختلف مستوياته ينبع من العقيدة، وأن ركيزة المناهج قائمة على التمسك بالدين الإسلامي، كما أن الدعوة الإصلاحية أكدت على أهمية العقيدة وخطورة التخلي عنها. ونلاحظ أن هذه النزعة المتجلية ظهرت أيضا في أعمال شعرية اتجه الشعراء فيها إلى الوحدة الموضوعية الإسلامية فأصبح الديوان بكامله يمثل موضوعا إسلاميا لا يخالطه شيء، ومن أشهر المجموعات الشعرية ذات المنزع الإسلامي "الإلياذة الإسلامية الجديدة" للشاعر محمد بن إبراهيم جعد، وقد تحدث فيها عن أيام الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهرت فيها الروح الدينية الصادقة والمتعمقة بحب الرسول الكريم والدين. وللشاعر أحمد قنديل ديوانان

يفيضان بالمشاعر الإسلامية هما: "مشاعر ومشاعر" الذي يتسم بالحس الديني وديوان "مكتي قبليتي" يفيض بالمشاعر الإسلامية، وكذلك "ملحمة الزهراء" وهي مطولة دينية تنقف فيها أمام ثلاث قضايا: حياة الرسول p، والدعوة السلفية للإمام محمد بن عبد الوهاب، وحركة التضامن الإسلامي.

### ١- مؤشرات الهوية في استدعاء المناسبات بعداً دينياً :

ويقصد به ذلك الاتجاه الذي يصف الجوانب المضيئة من حياة المسلمين، ويواكب علاوة على ذلك المناسبات الدينية، في المجتمع الإسلامي، كعيد الفطر والأضحى، وذكرى الهجرة النبوية، والإسراء والمعراج، إلى غير ذلك من المناسبات، وفي هذا الاتجاه يتداخل البعدان الاجتماعي مع الديني (٥)، والبعد الإسلامي واضح وجلي لدى الشعراء السعوديين حيث تناولوا فيه قضايا اجتماعية مختلفة، وصبغوها بالطابع الإسلامي.

### ١/ أ- الهجرة النبوية :

قبل الخوض في الحديث عن الهجرة النبوية تجدر بنا الإشارة إلى المديح النبوي على وجه العموم، ويراد به ((لون من التعبير عن العواطف الدينية، تجاه الرسول الكريم p بذكر سيرته وشمائله، حبا له، وإعجابا به، وتقديرا له، إذ لم ينل أحد من البشر الحب الذي ناله الرسول (p) (٦). ومن هنا نشأت فكرة المدائح النبوية، منذ حياة الرسول p، واستمرت إلى العصر الحديث (٧). ولم يكن للمدينة المنورة قبل الإسلام ذكر يميزها، عن سائر البقاع، أو يفردها عن بقية الديار، فالأحداث التاريخية، قبل الإسلام لا تختلف خطوطها العريضة عن بقية الديار، التي تقع لأي بقعة أو مدينة (٨)، والذي لاشك فيه أن التاريخ الحقيقي للمدينة يبدأ بهجرة النبي p، ونقلها من مجالس التاريخ إلى أن أصبحت دولة الإسلام، وعاصمته، والمركز العلمي والإداري، ومنها يبدأ التحول الجذري في هوية المدينة المنورة.

وهناك ارتباط وثيق الصلة بين المدينة والهجرة النبوية، وهم بذلك يتذكرون الفضل الذي أحدثته هذه النقلة التاريخية للإسلام والمسلمين، بفضل الهجرة المباركة، والخير العظيم الذي كان بفضلها. والشاعر مصطفى جوهرجي يشي على رجال المدينة الذين كانوا هداة بصحبتهم ونصرتهم للدين، وصدق المشاعر، ويخاطبهم بكل مشاعر الفخر والاعتزاز :

يَا نَاصِرِي دِينَ السَّمَاءِ لَكُمْ أَرَى صَدَقَ الْمَشَاعِرُ مِنْ رُؤْيِ الشُّجْعَانِ  
أَخْلَصْتُمْو حُبَّ النَّبِيِّ وَأَهْلِهِ مِنْ بَعْدِ هِجْرَتِهِ بِقَلْبِ حَانَ  
فَتَوَافَدَتْ كُلُّ الْقَبَائِلِ نَحْوَهُ تَسْتَلْتُهُمُ التَّوْحِيدَ فِي حُسْبَانِ (٩)

والهجرة النبوية كان لها عظيم الأثر في تحول العالم من غياهب الظلام والجهل إلى عالم النور والهداية، ولا شك أن حضور هذه المناسبة في ديوان الشعراء بكافة جوانبها ذو دلالة وبعد كبير في نفوسهم مرده أنها تمثل انطلاق الرسالة المحمدية، وهي ميلاد جديد في حياة البشرية، إضافة إلى أنها أبرزت لنا ملامح الشخصية المحمدية، ورفي صفاتها. وقد تناول ديوان الشعر السعودي أحداث الهجرة والكثير من تفصيلاتها ودقائقها، ومن تلك الأحداث التجاء النبي p وصاحبه لغار ثور جنوبي مكة، وإدلاجه إليه ليلا طرفا من تخطيط محكم، وتنفيذ محكم لمسيرة الهجرة، ويتناول محمد هاشم رشيد معجزات الغار لما أوى الصاحبان الكريمان إليه، فأخذت مظاهر السكنية والأمن، ومشاعر الفرح والطرب تسري إلى معالمة حتى عيون الراصدين بهرتهم أنوار الأمن والسكنية المنبعثة من الغار:

جبل تَأَلَّقَ بِالسَّكِينَةِ وَالرُّضَا وَالصَّاحِبَانَ الْأَكْرَمَانَ بِغَارِهِ  
فَشَجِيرَةٌ تَشْدُو، وَزَوْجٌ حَمَانِمُ يَغْفُو قَرِيرَ الْعَيْنِ فَوْقَ صَفَارِهِ  
وَالْعَنْكَبُوتُ يَمُدُّ خَيْطَ نَسِيجِهِ جَدَلًا، وَيَغْفِي الطَّرْفَ عَنْ زَوَارِهِ  
حتى عيون الراصدين تطلعت مبهورة، وغفت على أنواره (١٠)

والقصائد التي تقال في مناسبة العام الهجري ذات صلة وثيقة بالمدائح النبوية، وتحديدًا بالهجرة النبوية، وهي امتداد لها، وربط



التاريخ الإسلامي بهجرة الرسول p مرده إلى أن التاريخ الهجري اعتبر من بداية الهجرة، واستحقاق الهجرة النبوية لهذه المزية أنها فرقت بين الحق والباطل، وبحلولها أقبل الناس إلى الإسلام جهرا بعد أن كان سرا، وهي أبرز مراحل التحول في الإسلام والتغيير الحقيقي و هذا الارتباط يستدعي إلى الذاكرة توجسات وهواجس تحتبس في أعماق الأمة لتتفجر عبر ألسنة الشعراء دلالات التحول في حركة الدعوة وإعادة ترتيب صفوفها، فهي حلقة ضمن سلسلة حلقات العمل المؤيد من الله سبحانه وتعالى، وهي بكل هذه المضامين والدلالات تخطر على بال المسلم فتحدث انشأء واعتزازا، وتجر معها كل الفصائل المناضلة مع الرسول الكريم، فتستدعي الصديق بمصاحبته، وعليها بإنابته، والشاعر حين تهزه المناسبة تحمله أجنحة الخيال إلى ذلك الماضي المجيد، بكل إنجازاته وأمجاده، وكثيرا ما تتسم القصائد التي تتعلق بالعام بمناجاته بعد تشخيصه في خيال الشاعر (١١).

ولم تقتصر المدائح النبوية على نبينا محمد p بل تعدت إلى الأنبياء الآخرين صلوات الله عليهم، انطلاقا من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي يوجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والشاعر حمد العسوس في قصيدته " بقايا من رسالة لم تحترق " يخاطب أبانا آدم ووالد البشر جميعا متذكرا قصة التكوين الأولى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم. يقول تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٢)﴾، فالدلالة القرآنية التي حملتها شخصية آدم جعلتها سبب الوجود على هذه الأرض، وسبب وجود هؤلاء الخلق أجمعين أبيضهم وأسودهم:

يا والد الأحفاد،

والجدود..

يا والد الشعوب البيض،

والملونين السود..

يا والد البشر

ذُكرَاك في قلوبنا

قوية الأثر

.. ذكراك

تحيا في دماننا

وفي دموعنا

في قصة التكوين

ما بين السور

" يا آدم اسكن "

لا تزال في الوجود - أعظم العبر. (١٣)

وقد وفق العسوس في توظيف شخصية النبي آدم p ضمن هوية إنسانية تتميز بحب البشر، مؤكدا على معاني الأخوة والمحبة بين البشر، من خلال أسلوب الكناية ومعبرا عن شخصية آدم بألفاظ (يا والد الأحفاد والجدود، يا والد البيض والملونين السود، يا والدي، يا والد الأجيال والأمم )، وكلها ألفاظ تحمل دلالة المساواة بين جميع البشر بكافة أطيافهم البيض والملونين، وكافة الأديان والمذاهب، ونبذ العنصرية والفرقة بين الناس. كما عبّر العسوس عن تلك المحبة والمساواة بقوله: ذكراك، والإشارة إلى الذكرى تحمل دلالة الحنين إلى عهد التكوين الذي عرف بخلوه من الأحقاد والضغائن، لولا دخول الشيطان في حياة البشرية ووسوسته لهم، بدءا من آدم وحتى يومنا هذا.

#### ب/ ١ - مولد هوية :

يستحضر الشاعر السعودي الكثير من المناسبات الدينية، ويوظف أحداثها، بشكل يبرز نوعا من الهوية والانتماء، ومن هذه المناسبات العظيمة ؛ استدعاء المولد النبوي الشريف في كل عام، وقد ولد الرسول الكريم يوم الاثنين الموافق الثاني عشر من ربيع الأول، من عام



يسمى ب (الفيل) ، وذكرى المولد النبوي وغيره من المناسبات السعيدة، تمر بخاطر المسلم فتعيد إلى ذاكرته أشياء كثيرة ترتبط بهذه الذكرى. والشاعر السعودي حين يذكر مع الذاكرين هذه المناسبة لا تحمله على المخالفة، وإنما تشده إلى ماضي الأمة ومآلها من عز ومجد وقوة، ثم ينظر إلى الحاضر وما اكتنفه من ضعف وتفكك وفشل، فيجد في هذه المناسبة سبيلا للإفضاء بمشاعره نحو ما كان عليه الآن. وعبد السلام هاشم حافظ يستحضر الذكرى وصدى الماضي من خلال المولد النبوي الشريف، واستحضار شخصية الرسول p لما تحظى به هذه الشخصية العظيمة من مكانة في نفس الشاعر، وفي نفوس جميع المسلمين، وعلى اعتبار أنه صاحب النور الأسمى والمثل الأعلى للكامل الإنساني، وصاحب الوحي، وفيه تتجلى حماسة الدين، وقيم الإسلام على صورة لم يشهد العالم لها مثيلا في القديم والحديث (١٤). وقد اتخذ الشاعر من ذكرى المولد النبي مدخلا لإبراز أخلاقه عليه السلام، ودوره الهائل في نشر دعوته وإقرار مبادئ الحق والخير:

بِذَكَرِكَ تَسْمُو عَلَى الْكَائِنَاتِ      تُعْطَرُ أَفَاقُنَا بِابْتِسَامِ  
وَذَكَرِكَ تَسْبِي الْقُلُوبَ فَتَشْدُو      بِأَشْوَاقِنَا.. بِالْهَدَى وَالْأَوَامِ  
فَمَيْلَا ذِكَّ الْيَوْمَ ذَكَرَى وَفَاءً      لِمَنْ يَهْتَدِي ذَرْبَهُ بِالضَّرَامِ  
وَقَلْبِي يُرَدُّ: أَنْتَ الْحَبِيبُ      وَفِي يَوْمِ ذَكَرِكَ يَذْكُو هِيَامِي

#### ١- الإسراء والمعراج:

وهي من أحفل المناسبات الدينية التي يجد فيها الشعراء متنفسا ليعبروا عن مكنون هويتهم، وتصوير أهمهم، وفيها من المعاني السامية، والقيم المثلى، ومن المؤكد أن ربط الشعر بهذه المناسبة يستدعي إلى الشاعر السعودي هواجس وهموما وأماني تحبب في أعماق الأمة الإسلامية.

والإسراء والمعراج حادثة جرت في منتصف فترة الرسالة الإسلامية ما بين السنة الحادية عشرة إلى السنة الثانية عشرة منذ أعلن النبي p أن الله قد أرسل جبريل يكلفه برسالة دينية يبلغها إلى قبيلة قريش ومن ثم إلى البشرية وأنها تنمة وخاتمة لرسالات السماء السابقة. والإسراء الرحلة التي قام بها النبي الكريم على البراق مع جبريل ليلا من بلده مكة إلى بيت المقدس في فلسطين، وهي رحلة استهجن قبيلة قريش حدوثها لدرجة أن بعضهم صار يصفق ويصفر مستهزئا، وعرج به إلى الملأ الأعلى عند سدرة المنتهى، إلى أقصى مكان يمكن الوصول إليه في السماء، وعاد بعد ذلك في الليلة نفسها، وأكد علماء المسلمين أن هذه الرحلة تمت بالروح والجسد معا، وإلا لما حصل هذا الإنكار المبالغ فيه من قبيلة قريش، وأن هذه الرحلة تجاوزت حدود الزمان والمكان (١٥).

والشاعر حين تهزه المناسبة، وتحمله على أجنحة الخيال، فإنه يعيش ألوانا من التمنيات، والمضامين العظيمة، التي تحدث في نفسه انشءا، ويستدعي أفكارا وأحلاما تتعلق بالمستقبل، ثم لا تلبث هذه المضامين والأمانى أن تتجاوز ذلك مع الإيمان بالله وبالحق، ثم بالذات، لتصبح حقائق وواقعا (١٦).

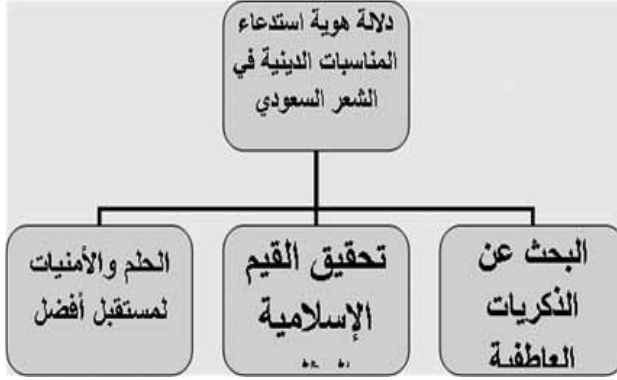
والشاعر السعودي حين تثبته المعجزة تثير معها قضيتين يقف الشاعر أمامهما لوثوق صلتها بحادث الإسراء والمعراج وهما: احتلال القدس، وغزو الفضاء. أما الأولى فلأن مسرى النبي p يحتله قوم ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم، ومع ذلك احتلوا بعض ديار المسلمين بسبب المؤامرات والدسائس، وتخلي المسلمين عن منهج الله وقعودهم عن الجهاد، وذكرى الإسراء تحمل معها ما حل بهذا المسجد مع ما منحه الله من الشرف والتهذيب. وأما الثانية فلأن الإنسان تمكن بالعلم من تجاوز المسارح التقليدية في الفضاء ليصل إلى آفاق جديدة لم تخطر على البال، والشاعر المسلم حين تشده هذه المعجزة الإلهية تستحضر ذاكرته إنجازات العلم الحديث، مع أنها خطوة قصيرة محدودة بالنسبة لهذا الإعجاز الرباني (١٧).

وعبد العزيز محي الدين حوجة في قصيدته " في حضرة النور " يعارض قصيدة الإمام شرف الدين البوصيري في قصيدته " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " ، وكلا القصيدتين على وزن واحد هو البسيط، وقافية واحدة وروي واحد، فهما ميميتان في مدح الرسول الكريم، وبنائهما متشابه لجهة الاستهلال بالغزل والتخلص منه إلى المديح ويشتركان في كثير من المعاني والمفردات. وقصيدة حوجة

تتناول جزءا كبيرا من حياة الرسول p منها الإسراء والمعراج، فاختيار الرسول الكريم بصحبة جبريل عليه السلام لمكانته وفضله، وأن ما سيراه من الأعاجيب لم يتأثر بها أو يفتن لثباته على الحق، عطفاً على أن هذه المعجزة تجاوزت طاقات البشر والخوارق:

أراك ربك من آياته عَجَباً  
فوق البراق فلم تُفتنْ ولم تهَم  
صحبَ جبريلَ والرحمنُ يقرؤهُ  
وحياً إليك جليلاً غير من كتم  
جاوزتَ أفقَ طباق ما تجاوزها  
جنٌ ولا ملكٌ أو خارقُ النَّسَمِ (١٨)

ومن الممكن أن نجمل مؤشرات الهوية في استدعاء المناسبات بعداً دينياً، بوضوح في الشعر السعودي، وتتمثل في البحث عن الذكريات العاطفية واستلهاهم الأحداث الإسلامية والاعتزاز بذلك الماضي التليد، وتحقيق الكثير من القيم والمثل الإسلامية، وتمني الحصول على واقع أفضل ومستقبل مليء بالنصر والتقدم للأمة الإسلامية.



#### - مؤشرات الهوية في شعر الوجداني:

يُقصد بهذا البعد تلك القصائد التي اتجهت في مضمونها نحو العلاقة الوجدانية التي تجمع بين العبد وربّه سبحانه، وهي التي تتضمن في نظر الباحث:

- التسبيحات.
  - المناجاة.
  - قدرة الخالق عز وجل.
  - عواطف مشحونة بالخوف أو الرهبة أو المحبة.
  - مشاعر تجمع العبد بالله سبحانه وتعالى (١٩).
- ويمكن أن نعدد تلك المؤشرات كما يلي:

#### أ / ٢- الصوفية :

يعتبر الزهد أولى حركات التصوف في الإسلام، وقد انتشرت حركة الزهد في عصر الرسول p وبعده، وفرق بين التصوف والزهد، (فالتصوف زهد في الدنيا لكسب رضاء الله، وأما الزهد بعد عن الدنيا لكسب ثواب الآخرة، والتصوف فلسفة روحية في الإسلام، ودخول في مجال الملاء الأعلى، وروحه، وراحته) (٢٠).

والسبب في تسمية هذا الاتجاه بالصوفي احتواؤه على مظاهر الصوفية الأساسية، في مرحلتها الأولى التي تتضمن مفهوم الزهد والتواضع وكثرة العبادة، وهو بذلك اتجاه قائم على العلاقة الوجدانية التي تعتمد على الخضوع لله وحده، لا شريك له، وتصور قدرته، وتضرده على كل شيء سبحانه (٢١).

والصوفية الوجدانية نجد ملامحها في الشعر السعودي في القصائد التي تحمل في طياتها معاني التواضع والزهد ومجبة الخالق عز وجل، وإثبات وحدانيته، والعلاقة الوثيقة بين العبد وربّه الذي يتقرب إليه من خلال المناجاة والتسبيح، وهو بذلك واضح وجلي، لدى شعراء هذه المرحلة، فالهوية الإسلامية بمعناها الشامل تظهر بوضوح في أشعارهم، وقصائدهم، بجميع أبعادها واتجاهاتها، ومن أهم تلك الاتجاهات الاتجاه الصوفي.

ونؤكد على أن الصوفية لا تعني الغزل المألوف بين البشر، فتسبته الذات الإلهية أمر لا يجوز، وإنما نعني بذلك تصوير محبة الله منزها عما يخاطب به البشر، وهذا مما لا حرج فيه، ومن التماذج في الشعر السعودي ما تناوله عبد السلام هاشم حافظ - في مقدمة ديوانه الأربعون - عن شعر الغزل وذهب فيه للرقي بالعواطف إلى عوالم الحياة النقية، وأنه لا يعالج إلا الشوق إلى أعلى فأعلى، إلى مبدع كل جمال، إلى القرب من جلال الله الخلاق المبدع لكل تكوين، وإلى الرجاء في رضوانه، وهذي هي غاية الغايات من الحب، ومن التغني بالمحاسن، بالجمال الذي لا يتفد. وقد أورد في المقدمة ما يفيد أن هذا الغزل جار على مذهب المتغزلين من المتصوفة، ومن المعلوم أن مثل هذا الغزل، أو المقصد في هذا الغزل غير جائز شرعاً إذ لا يجوز التغزل في الذات الإلهية ولا فيما تختص به (٢٢).

ولكن هل الشاعر صادق في هذا القول، أم أنه يبحث عن مسوغ لغزله كما فعل ابن عربي في بداية طريقه حينما أحب (نظام) بنت أستاذه حباً فنظم فيها من قصائد الغزل ما يلام عليه أمثاله من العلماء فادعى أنه إنما يناجي بهذا الغزل الذات الإلهية، وهذا ما لا يملك كلمة فصل الخطاب فيه سوى الشاعر نفسه.

على أن الحديث عن الحب يختلف فإذا كان في صورة الغزل المألوف بين البشر فتسبته إلى الذات الإلهية أمر لا يجوز مطلقاً أما إذا كان تصويراً لحب الله منزهاً عما يخاطب به البشر فلا أرى حرجاً في قبوله والله أعلم، والذي يحكم بهذا أو ذاك هي النصوص الشرعية التي نطرق بابها بما نستقبله من هذا الحديث، وأولى هذه النصوص (إلى بهائك يا رب) فإذا كان حبه الذي وصفه في المقدمة على نحو من هذه القصيدة فهو مما لا بأس به إلا ما كان من قوله: (( وأريد أن أسمو لأعتنق الجلالة يا جليل )) وهو من أبيات الروي (٢٣):

وأريد أن أسمو لأعتنق الجلالة يا جليل

يا مصدر الإلهام والحب المقدس والنغم

ومصور الحسن البهي ومبدع الأفق الظليل

خذ للمحبة في رحابك مهجتي ومدى الهمم

ليذوب قلبي في سناك... ولا يرى إلا الجميل (٢٤)

ومن نماذج الحب الصوفي المحمود في الشعر السعودي نموذج الخطراوي، عندما جعل محبة الله فوق كل محبة، وهو الحب الأصلي:

حبُّ الديارِ وأهلها قدرٌ ما قبله حب ولا بعدُ

إلا لوجهِ الله خالقنا إذ كلنا لإلهنا عبدُ

نحيا ونفنى في محبته حتى يضمُّ رفاتنا للحدِّ (٢٥)

فالشاعر أكد على قدر ومكانة حب الأهل والديار وأنه ليس قبله حب ولا بعده، لكنه أردف أداة الاستثناء (إلا) وفي ذلك تأكيد على أن

حب الله أقرب إلى قلب الشاعر من محبة الأهل والديار، وهنا تبرز هوية العقيدة الصافية والخالصة التي لا يخالطها شائب.

## ب/٢- الزهد:

الزهد (( هو الغرض الشعري الذي قال فيه القدماء بأنه القناعة والغنى. وهو غرض قديم جاءت أصوله وجذوره، في أدب ما قبل

الإسلام )) (٢٦).

وقد وردت مادة ( زهد ) في القرآن الكريم مرة واحدة، وفي موضع أقرب إلى الذم، وذلك في قصة يوسف عليه السلام في قوله

تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ (٢٧)، والزهد: الشيء القليل، والزاهد في الشيء: الراغب منه، والراضي منه بالزهد: أي بالقليل،

قال تعالى: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ والمراد هنا بالإخوة، وقيل السيارة وقيل لوارده (٢٨)، وقال أبو حيان: (( قال ابن قتيبة: البخس:



الخسيس الذي بُخس به البائع)) (٢٩). وقال قتادة: ((بخس: ظلم، لأنهم ظلموه في بيعه)) (٢٠). كما وردت مادة الزهد مرات عديدة في السيرة النبوية كما في قوله صلى الله عليه وسلم: ((ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس))، وقد وردت مادة (زهد) ومشتقاتها في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث عشرين مرة فقط (٢١). وعندما جاء الإسلام أصبح فنا شعريا متميزا يستظل بظلال الإسلام وينهل من تعاليمه، ويقتدي بأفكار القرآن الكريم، وكان له شعراء منهم عبد الله بن رواحه، وحسان بن ثابت، والنابغة الجعدي، وأبو الدرداء (٢٢) وغيرهم. وقصيدة محمد اسماعيل جوهرجي "يا صائل الخطو" حشد من الأساليب جعلتها تفيض بروح التحذير والتنبية لكل غافل غير آبه بالموت ومفاجأته، وقد برع الشاعر في اختيار الألفاظ الموحية والمؤثرة في نفس المتلقي كالاستعارة في قوله: الموت مفترس / قوِّض الدهر، ودلالة قوِّض إشارة إلى شدة الهدم والتخريب، وذلك حال الموت عندما يحل فجأة، وقد حملت دلالة التحذير والتنبية من لذات الدنيا، والإفراط فيها، بالإضافة إلى مفردات الزمن: الدهر / الدنيا / الأيام / العمر / اليوم / ثانية، وحشدها الشاعر بهذه الكثافة للتأكيد على غرضه الأساسي:

يا صائل الخطو إن الموت مُفترسٌ لا يدفع الموتَ لا جاء... ولا حرسٌ  
كم قوِّض الدهرُ صيلاً بقوته وخيم الحزنُ في بيت له ونس؟  
مضيتُ تفرحُ بالدنيا وزخرفها وعرك المال... والأضواء والهوس  
لا تصرمُ العمرُ في اللذاتِ ملتهياً واذكر من الصَّحْبِ كم غابوا وكم درَسوا (٣٣)

وعلى النعمي عرف حقيقة الدنيا، وهو بذلك كثير الاحتقار لها، والناس ينظرون إليها على أنها نظيرة الأشكال بديعة الجمال، وهم مخدوعون واهمون في ذلك والشاعر يعرفها بوجهها الحقيقي، دون أن تنف الأفتعة حائلا دونها، فهي امرأة شمطاء تجعد وجهها، وعلى الرغم من معرفته لهذه الحقيقة، إلا أن الإنسان لا بد أن تعتريه الغفلة والنسيان:

قالوا وليس العيبُ في الأقوالِ دُنْيَا العبادِ نصيرةُ الأشكالِ  
وبأنها مَرْهُوَةٌ، وبديعةٌ ولها جمالٌ فاق كلَّ جمالِ  
فإذا بها شمطاً تجعدُ وجهُها شوهاءُ في مَرْقٍ من الأسمالِ  
وتحرَّكتْ نحوِي فزاد دُنُوها مني مخافتها... تدبُّ حيالي (٣٤)

وقصيدة علي عسيري "الملك" وقد وظف فيها قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٣٥)، وقد أظهر فيها التوظيف العضوي للنص دون المساس بقدسيته، والقصيدة تقدم أنموذجا لمحاسبة النفس المقصرة، ويذكر دائما بالنهاية، ورسالة طغيان على الذنوب، وتوظيف لمفهوم الحساب يوم القيامة، وموازنة بين الثواب والعقاب:

يَا أَيُّهَا الْمَتَلْقِيَانُ

عن اليمينِ وعن الشمالِ

في فسحةِ الزمانِ والمكانِ

يا حارسانِ للفضيلةِ

وراصدانِ للخطيئةِ

ثم ينتقل الشاعر في تخصيص الخطاب للملك الذي يكتب الحسنات مخاطبا إياه، واصفاً إياه بأنه حارس للفضيلة، مبديا له الحال الذي نحن عليه، فموارد الثواب قد قلت، وحر الريش قد اسود من تتابع السنين وتراكم الذنوب، ثم يندب حاله بكثرة ذنوبه، وكم هو مدين، في الوقت الذي يحصي فيه الملك كل صغيرة وكبيرة دون أن يخل بالأمانة التي أكلت له:

ماذا ترى يا حارسَ الفضيلةِ

قلَّتْ مواردِ الثوابِ؟ واستنسخَ الكتابُ؟

أعلمُ أنني عطلتُ - غيرَ عامدٍ - مهمَّتكَ



وحبرُ الريشةِ الثمينِ  
لا زالَ في الأنا رهينِ  
أسودٌ من تتابعِ السنينِ

ثم ينتقل إلى الملك الذي يكتب الخطيئة بحوار مطول يملأه الخوف والرجاء، والندم على ما مضى من تلك السنين، واصفاً إياه بصفات الشدة، والعتاد ورصد كل صغيرة وكبيرة، فلم يتيق وقت للعتاب، والتوجيه، فالحساب قادم لا محالة:

وأنت أيها العتيد  
يا سيدي الشديد  
يا راصد الخطيئة  
أزعجك الحساب؟  
زدنا على النصاب؟  
واسودت الحروف في الكتاب (٣٦)

#### ج/٢- المناجاة:

حفل ديوان الشعر السعودي بكثير من القصائد في مناجاة الخالق عز وجل، وفيها تعبير عن حب عميق، وإيمان بالله، وشوق واعتراف بالجميل الذي هدانا الله به، المناجاة تتميز بصدق الانفعال، وهو نابع من العاطفة الدينية التي تحتل مكانا بارزا في النفس الإنسانية، إلا أن الاستجابة لها والتعبير عنها يتفاوت من إنسان لآخر، وكذا بين شاعر وآخر، وسمة الصدق تتبع من لحظة التجلي أو الكشف، والمقصود بذلك اللحظة التي تولد فيها التجربة الشعرية، وهي تتكون في الذات تدريجيا، وتتشكل في أعماق الإنسان الذي يحس بها دون غيره (٢٧) ومن تلك البدايات قول علي التميمي وهو يعلن صدق مناجاته لربه، باعترافه بحق الله عليه، فهو سبحانه الموجد، وهو غوث الراجي، وسائر الذنوب والعيوب، وهذه المناجاة جعلها بين يدي الله عز وجل على الأمل تهدأ وتجلي:

يا إلهي عمقتُ حُبَكَ في ذا  
أنت ربي، وأنت مالكُ أمري  
أنت أوجدتني ولم أك شيئا  
وحَدِّكَ المُستَشْفِ حائنةُ الأع  
تي، وأعلنته بألقى المشاعر  
وملاذي من موجعات المخاطر  
لتراني المطيع كل الأوامر  
ين، يا رب، والعليم السرائر (٣٨)

ومن خلال زحمة الأحداث، تقتنع النفس المؤمنة لحظات من عمرها، تصفو فيها وتروق، وتخرج من هذا الكون الشاسع الصاخب بأحداه ومفارقاته، بأماله وآلامه، ونزعاته المختلفة، تخرج إلى مناجاة الخالق، وقيل الدخول في المناجاة، تتفكر في ملكوته وعظمته، وفي آياته التي تشهد بوحدانيته، وقدرته، هاربة من الدنيا الفانية بزخرفها، ومن تلك الخطايا والذنوب التي تحيط بها، حيث تهرب إلى مراتب الطهر حيث الاتصال بالخالق عز وجل (٣٩)، وقصيدة عبد الرحمن آل ملا "تأمل ومناجاة" نموذج للتأمل والمناجاة الذي يرتقي الشاعر من خلالهما إلى أعلى مراتب الصفاء:

سرح العقل مرة نظراته  
ودعاه إلى التأمل سر  
ربي أمنت أنك الواحد ال  
فإلى ظل كهف جودك أهفو  
في صنع الإله في معجزاته  
في ضمير الوجود كنه حياته  
حق وهذا الوجود من حسناته  
بفؤاد تعاطمت عثراته (٤٠)

والوقوف بباب الله يحتاج إلى ذلة وتضرع، وهذه الصورة نجدها في قصيدة يوسف أبو سعد فقد توجه، بذله وانكساره، لله الكريم، فهو الباقي على وجه البسيطة، يلجأ إليه ويدعوه، فهو سبحانه القادر على هدايته وإيصاله إلى بر الأمان،، كما أن الحياة التي أرادها الشاعر تغيير الحال التي هو عليها بفعل هداية الله:





فَرَحَمَكَ رَبِّي، زَمَانِي الْعَشُومِ      رِمَانِي بَرَزْءُ جَسِيمِ مَرِيضِ  
فَوْلُولُ قَلْبِي الْخَفُوقِ الْكَتِيبِ      وَنَاجَاكَ رَبِّي، وَأَنْتَ الْمَجِيرِ  
فَقَدَّنِي، إِلَهِي، لَشَاطِي الْأَمَانِ      لِأَحْيَا بَرُوضَ بَهِيحِ مَنِيرِ  
فَمَاي سَوَاكَ، إِلَهِي، مَعِينِ      وَأَنْتَ بَحَالِي عَلِيمٌ بِصِيرِ (٤١)

والمناجاة الدينية في الشعر السعودي جاءت تأثراً بالشعر الصوفي، وهو استجابة طبيعية للعاطفة الدينية المتأصلة في نفوسنا جميعاً، ومناجاة الخالق في موقف شعري كثيراً ما يتسم بالصدق ويكون مفعماً بالمشاعر الجياشة، وهو من أصدق المواقف تصويراً وتعبيراً عن خلجات النفس، وهي لا تعني أنها تقليد بل هي تفرد وتعبير حي عن الإيمان والعقيدة التي تشكل منها الوجدان والكيان الإنساني، وديوان "شعري وحواء" يحفل بكثير من أشكال المناجاة والابتهالات، واختلفت صيغ الخطاب (يا سيدي، يا ذا الجلال، يا رب، سألت ربي)، وهي كثيراً ما تقترن بمواقف المناجاة، تجسيدا صادقا للمشاعر التي تغلب على الإنسان حينئذ، من الخشوع والتضرع والدعاء. يقول:

يَا سَيِّدِي أَيْنَ الطَّرِيقُ تَشَعَّبَتْ      سُبُلُ الظَّلَالِ وَعَرَّتِي الْخَلَطَاءُ  
كَمْ دَمْعَةٌ أَهْرَقْتُهَا مَتَوَسَّلًا      وَاللَّيْلُ حَوْلِي غَابَةٌ سَوَاءُ  
يَا سَيِّدِي أَنْتَ الْمَلَاذُ لِيَانِسُ      ضَاقَتْ عَلَيَّ سَعَةٌ بِهَ الْأَرْجَاءُ  
إِنْ تَعَفَّ عَنِّي ذَنْبِي وَتَغَفَّرَ زَلَّتِي      فَالْعَفْوُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ وَحِبَاءُ (٤٢)

#### أ / ٤ - سيميائية التناص العنواني وتأويله بعداً دينياً:

كان من الطبيعي أن يردد الشعراء السعوديون إلى المصادر الدينية بوصفها رافداً من أهم روافد القصيدة الحديثة، من ناحية الشكل والمضمون، بالإضافة إلى الإعجاب والانبهار بالنص الديني، وخاصة القرآن الكريم وإعطائه للقصيدة بعداً دلالياً، وإبرازاً للمستوى الثقافي الذي يتمتع به الشاعر، وكذلك إبراز قدرتهم وتمكنهم من معرفة أجواء وأحداث النصوص القرآنية، وتوظيفها مع ما يخدم ويتلاءم مع موضوعاتهم.

واتجاه الشاعر السعودي إلى التناص الديني قد يكون له سبب ذاتي لدى الشاعر لقضية إما تخص الشاعر أو قضية إسلامية وبقية المطلقة أن الحل لجميع ما يواجهه مسأته تكمن في التوجه للدين. بالإضافة إلى إيمانه بأن ((الاستلهام من القرآن الكريم والحديث الشريف له بالغ الأهمية في الانتقال بشعرهم إلى مصاف ومدارج الشعراء المتميزين بشعرهم)) (٤٣).

ويعرف التناص الديني بأنه: ((تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو الحديث أو الخطب، أو الأخبار الدينية مع النص الأصلي، بحيث تتسجم هذه النصوص مع السياق، وتؤدي غرضاً فكرياً أو فنياً. ومن الواضح التوجه لكثير من الشعراء لاستخدام التصوير الفني بوصفه ((لوحة يبرز فيها الشاعر أفكاره وأحاسيسه، ومشاعره بعد أن كانت نظرة النقاد له جامدة على أنه مجرد ألفاظ ذات معانٍ مفردة)) (٤٤). ولقد كان التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، ومن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا بالمعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا بالحالة النفسية لوحة أو مشهد وإذا بالنموذج الإنساني شاخص حي، وإذا بالطبيعة البشرية مجسمة مرتبة، فأما الحوادث والمشاهد، والقصص، والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة (٤٥).

ومن جملة التناصات الدينية التي تظهر بوضوح في الشعر السعودي المعاصر عنونة الكثير من الدواوين، ومن النماذج الجليلة دواوين الشاعر أسامة عبد الرحمن عثمان والذي ظهر التناص في عناوين دواوينه بوضوح، ووجود ذلك يعطي الخطاب الشعري قيمة خاصة غنية بالدلالات وتأثيراً أكثر في نفس المتلقي، وتعكس رؤياً الشاعر في هذه القصائد، ومن دواوينه ديوان "واستوت على الجودي"، وكذلك ديوان "وغيض الماء"، وهما ينتميان إلى قصة نبي الله نوح مع قومه عندما أغرقهم الطوفان، وهما مقتبسان من قوله تعالى (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاةُ اْلَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ) (٤٦)، وكذلك ديوان "بحر لحي" وديوان "موج من

فوقه موج " مقتبسان من قوله تعالى: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ) (٤٧)، وكذلك ديوان بعنوان " عينان نضاختان ١٩٨٨ " مقتبس من قوله: (فيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاخَتَانِ) (٤٨)، وكذلك ديوان " يا أيها الملائكة ١٩٩٢ " وديوان " أوتيت من كل شيء " وهما مقتبسان من قوله (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ) (٤٩).

كما ظهر التناس في عنونة القصائد، وقد جعلت من تجربة الشعراء أكثر عمقا وشمولية تؤثر في المتلقي، وتشويقا للدخول إلى باقي مكونات النص، ومن تلك العناوين التي تحمل نصا أيديولوجيا موظفا عنوان (مشكاة) للشاعر أحمد الزهراني؛ الذي تناص مع الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ (٥٠)، فالمشكاة زادت من قوة النور الذي يخرج منها، وخصصته، إنها هوية تنتمي إلى أيديولوجيا يستحضر خلالها وجه المحبوبة بما يحمل من ذلك السر الغيبي يقول:

وَجُحُكِ، وَالْحَمَى، وَبَقَايَا أَوْرَاقِ التَّوْتِ

ثم يتسلل الشاعر من وجه المحبوبة نحو تفاصيل الأنثى كاملة وهو يقول:

وجهك سر غيبي

يتمواج في بحر من ودق

يستحضر كنه تفاصيل الجسد الأشهى (٥١)

إنها أنثى غير محددة، إنها الأنثى وحرارتها وحكاياتها الرطبة "كصباحات اللائي كن صبايا " وبذلك فالمشكاة فيها ما ليس في غيرها، وأثناء فيها ما ليس في غيرها.

ومن العناوين التناسية عنوان " هزي جذع أيامي " للشاعر جاسم عساكر الذي تناص مع قوله تعالى: ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾ (٥٢)، وهي ارتباط بين أهمية الرطب والمرأة الحامل، يقول في مطلع القصيدة:

باسمك أنت أعتنق الثريا وأخلع فوقها شغفا يديا

وتختتم القصيدة على التناس فأيامه (النخلة)، والوجد (الرطب) وبقيّة الكلمات كما هي وبالمنى القريب يريدها أن تقترب منه،

وبالمنى البعيد يريدها كما هزت مريم النخلة وأثمرت بعد أن كانت يابسة يريد من الحبيبة أن تهز جذعه ليثمر وقد بيس (٥٣).

وقصيدة " لا تذهب ربحكم " (٥٤) لمصطفى زقروق مقتبسة من قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعُوا فَعَشَلُوا وَتَذَهَبَ رَيْحُكُمْ﴾ (٥٥)، وهي ارتباط وثيق الصلة بين طاعة الله وطاعة الرسول p والتنازع والفشل الذي يليه زوال الدولة بأكملها، فطاعة الله والرسول تحقق الوحدة وحصول النصر، وخلاف ذلك زوال الدولة والفشل.

وقصيدة " أعيدك بالرحمن " لعبد الرحمن العشماوي مقتبسة من قوله تعالى: (قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ إِنَّكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا) (٥٦)، وفي القصيدة تبيان لطريقتين أحدهما: طريق الحق والهدى، والآخر طريق الضلال والهوى، ثم يعيد نفسه أن يسلك طريق الضلال والغى، ويتمنى من قومه أن يسلكوا مسلكه يقول:

أعيدك بالرحمن يا نفسُ إنني أغار على قومي، وقومي تغربوا

أقول لهم: برق المحبين صادق فثوبوا، وبرق المستبدين خلّب

فيأبون إلا مسلك الذل والهوى ويأبون إلا أن يباعوا ويُسلبوا (٥٧)

#### ب/ ٤- التناس مع القرآن الكريم:

حاول الشاعر السعودي أن يقيم نصه في فضاء النص القرآني الذي استفاد من لغته بعد أن أضفى عليه بعدا معاصرا يعكس مضمون تجربته، محاولا قدر المستطاع أن يعطي هذه التجربة، وهذه الرؤية مصداقيتها وجعلها أكثر تأثيرا في نفس المتلقي وفي قصيدة " نعمة الصبر " لمصطفى زقروق يتناس الشاعر في أكثر من موضع تناسا صريحا في قوله:

أَسْقَاكَ رَبِّي فِي عَلَا جَنَاتِهِ عَسَلًا مُّصَفًّى بَارِدًا وَطَهُورًا

وَكَسَاكَ مِنْ حُلْلِ السَّعَادَةِ سُنْدُسًا سَلَّ مَا تَشَاءُ وَلَوْلَا مَنْتُورًا



فَهَٰئِكَ مَا أَى الصَّدِيقِينَ بِصِدْقِهِمْ يُجْزُونَ فِيهَا نَظْرَةً وَحَرِيرًا (٥٨)

وقد ضمن الشاعر في الأبيات السابقة الآيات التي وعد الله بها عباده الصابرين، وما لهم من الخير والجزاء يوم القيامة، ووصف للنعيم لمن صبر واحتسب، والتضمين الذي أدخله الشاعر أكثر من نص في البيت الواحد، ففي قوله "عسلا مصفى باردا وطيهورا" تناص من الأيتين في قوله (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى) (٥٩)، وقوله (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا سَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (٦٠) وكلا الأيتين تحملان البشرى لمن اتقى الله، وأمن. كما يظهر التناص في البيت الثاني في قوله تعالى: (عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا سَاوِرٌ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا) (٦١)، وكذلك قوله "يجزون فيها نظرة وحريرا" مقتبسة من قوله (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا) (٦٢). وجميع الآيات التي استلهمتها القصيدة تحمل أوصافا لتلك الجنان التي وعد الرحمن بها المتقين، وهي تتناول جانبا من صفات الجنة التي وعد الله بها عباده، وقد أراد الشاعر بذلك شحذ الهمم، وتقريب النعيم الذي ينتظر من اتقى الله.

ويستفيد الشاعر عبد الله باشراحيل من قصة موسى عليه السلام في قصيدة "عصر الفدا" والتي استلهم فيها جوانب من القصة منها: تعذيب فرعون لفته من قومه / مع موسى عليه السلام / رضاة موسى وهي بذلك تحمل الكثير من الإيحاءات والعظات للمتلقي :

فَرَعُونَ أُصْدِرَ أَمْرَهُ أَنْ يَقْتُلُوا كُلَّ الذُّكُورِ  
أَنْ يَحْرِقُوا كُتُبَ النُّذُورِ وَالْيَمُّ يَا مُوسَى يَمُورُ  
مَا بَيْنَ رَبَاتِ الْخُدُورِ قُصِيهِ يَا بِنْتَ الدُّهُورِ  
فَالْوَعْدُ لِلدِّيَانِ نُورُ يَا أُمَّ مُوسَى لَنْ يَبُورُ  
قَدْ عَافَ كُلَّ الْمُرْضِعَاتِ (٦٣)

فالشاعر استعمل حشدا من الألفاظ القرآنية التي رويت بها حادثة ولادة موسى كما جاءت في سورة القصص نأخذ منها: ﴿يَذَّخِرُ أَبْنَاءَهُمْ﴾، ﴿وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصِيهِ﴾، ﴿فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾، ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (٦٤)، وهذا الاستعمال للألفاظ القرآنية في سياق قصصي يستلهم السياق الأصلي الذي يحمل النص بإيحاءات يستحضرها إدراكا من الشاعر لإمكانية اللغة القرآنية في إحداث الأثر الذي يرحوه في نفسية المتلقي، نظرا للتكوين الثقافي القرآني للإنسان المسلم، وصلته الحميمة بالقرآن (٦٥).

وتوظيف الشاعر آيات القرآن بشكل صريح ليعين لنا ما في قلبه من قلق وإحباط وتذمر مما أصاب مجتمعه من البعد والانصراف عن الوازع الديني الذي سيؤكد بأنهم لو رجعوا إليه وأمنوا حق الإيمان لتبدلت أحوالهم، وتغيرت أمورهم، وقد تناصت الأبيات مع الآية الكريمة (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (٦٦). ويستمر الشاعر في نفس القصيدة، وبنفس المنهج الذي سار عليه من حث الناس للرجوع للدين، فالصحاري تخضر، والأشجار تثمر، والطيور تعود لأوكارها:

وَتَاقَتْ إِلَى الطَّيْرِ أَوَّكَارَهُ  
وَلَكِنَّهُمْ كَفَرُوا بِالْبَدَايَةِ  
فَزَلَزَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا  
وَأَخْرَجَ رَبِّي أَثْقَالَهَا (٦٧)

وهنا تناص واضح وصريح مع الآية الكريمة (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾) (٦٨).

#### ج/ ٤- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

تكثر في نصوص الشعراء السعوديين الإحالات إلى الخطاب الديني والتفاعل معه، من خلال توظيف بعض الأقوال المأثورة عن الرسول p وذلك لارتباطهم الوثيق بالسنة النبوية، وقد ظهر التناص مع الحديث النبوي الشريف بوضوح إما صراحة أو بالعمى، ويستلهم عبد الله باشراحيل من الحديث الشريف في قصيدة "سيد الخلق":

أَنْتِ صَدَقْتَهُ وَقَدْ قَالَ وَحِيَاً  
دَثْرِيهِ فَقَدْ عَشَاهُ انبَهَارُ  
أَنْتِ بَشَّرْتَهُ فَنَعَمَ الْخَلِيلُ  
جَاءَهُ الْوَحْيُ بَلْ هُوَ التَّنْزِيلُ  
كَأَدِّ يَفْشَى عَلَيْهِ مِمَّا يَهْوُلُ (٦٩)

وتتواصل الأبيات مع كلمة "دثريه" وما جاء في الأحداث التي وقعت أثناء نزول سورة المدثر، والتي وردت في حديث جابر بن عبد الله عن رسول الله p قوله: ((جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أجد شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، ورفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأثيت خديجة فقلت دثروني، وصبوا علي ماء بارداً - قال - فدثروني وصبوا علي ماء بارداً - قال - فنزلت: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ)) وقد رواه مسلم (٧٠). ويحذر الخطراوي الشامتين من أن تدور عليهم الدوائر، فلا يشمت أحد بصاحبه لأنه لن يفلت من عقاب الله:

أَيُّهَا الشَّامِتُونَ مَهَلًا فَمَا فِي  
سَمْتُونِ فَالْخُلُودِ مَحَالُ  
هَذِهِ الْأَرْضُ مَضَتْ مِنْ أَسَارِ  
لَيْسَ هَذَا الْحَيَاةِ دَارَ قَرَارِ

فالأبيات تتناص مع قول الرسول p: ((لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله وبيبتليك)) (٧١). وجاءت في محمل الوعظ والنصح والتحذير من خطورة الشماتة.

والنرسمة التالية تلخص المنهج الذي اتبعه الشعراء السعوديون في استثمار التناص بنمطيه الشهيرين: تناص القرآن الكريم، وتناص الحديث النبوي الشريف.



### النتائج:

- أصبحت قضية "الهوية" قضية مركزية ومحورية في الخطابات المعاصرة.
- تترنح معاني الهوية بين ما يميز الفرد أو الجماعة أو الأمة عن غيرها، فهي خليط من القيم، والتقاليد، والأفكار، والثقافة، تختص بها كل جهة من الجهات.
- تحفظ الهوية الدينية لكل أمة ثقافتها وخصوصيتها، وتعمل على استيعاب حياة المسلم وكل مظاهر شخصيته.
- وضوح البعد الإسلامي لدى الشاعر السعودي، الذي تناول قضايا اجتماعية مختلفة بصيغة إسلامية.
- استحضار الشاعر السعودي العديد من المناسبات الدينية وتوظيف أحداثها بشكل يبرز هويته وانتماءه.
- حفل ديوان الشعر السعودي بكثير من القصائد في مناجاة الخالق عز وجل، وهذا نابع من العاطفة الدينية التي احتلت مكاناً بارزاً في نفس الشاعر السعودي.
- شكل التناص القرآني أبعاد الهوية الدينية في الشعر السعودي، من خلال ما تجسده صور التناص وتلتقي به في الواقع.
- تعددت أبعاد الهوية الدينية بين استدعاء للأماكن المقدسة، أو استدعاء للرموز الدينية التاريخية في الإسلام.



## الهوامش

- (١) انظر: الدين والهوية، السيد ولد أبيه، جداول، الحمرا، بيروت، ط: الأولى، ٢٠١٠م، ص ١٢
- (٢) الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية: د خليل العاني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، ط: الأولى، ١٤٣٠هـ، ص ٤٥
- (٣) انظر: تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط: بدون، ت ١٩٩٥م، ص ٢٦
- (٤) انظر: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، ومصطفى الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، ١٩٦٢م، ص ٨٤
- (٥) انظر: الهوية في الشعر الأردني المعاصر، بشار الغمار، ص ٢١٤
- (٦) المدائح النبوية، زكي مبارك، القاهرة، دار الشعب، بدون تاريخ، ص ١٢
- (٧) انظر: الهجرة النبوية في الشعر الحجازي الحديث، دراسة تحليلية، حسين حمد أحمد الدغيري، رسالة علمية، ص ٩
- (٨) انظر: دراسات حول المدينة، يوسف فدق، ضمن محاضرة بعنوان "المدينة المنورة وحضارتها قبل الإسلام" ص ١٣
- (٩) الأعمال الشعرية الكاملة، محمد اسماعيل جوهري، ١/ ١٩٣، ١٩٤
- (١٠) قصيدة مخطوطة للشاعر بتاريخ ١٢/٢٢/١٩١٩هـ.
- (١١) انظر: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، حسن الهويمل، ص ٢٢٧
- (١٢) سورة الأعراف، الآية ٣٥
- (١٣) دوائر للحزن والفرح، حمد العسوس، النادي الأدبي بالرياض، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ، ص ٧٨، ٨٨
- (١٤) انظر: صوت الإسلام في الشعر العربي المعاصر في مصر، د. القطب يوسف زيد، ط: الأولى، ١٩٩٦م، بدون ذكر دار نشر، ص ٦٨
- (١٥) للاستزادة ينظر: الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركنوري، الجامعة السلفية، الهند، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، حقوق الطبع محفوظة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ص ١٢١ وما بعدها
- (١٦) انظر: عبد الله بن إدريس شاعرا وناقدا، د محمد الصادق عفيفي، نادي المدينة المنورة الأدبي، المدينة، ط: الأولى، ١٤١٨هـ، ص ١٠٥
- (١٧) انظر: النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر، ص ٢٠٤
- (١٨) رحلة البدء والمنتهى، عبدالعزيز محي الدين خوجة، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط: الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠١٠م، ص ٣٤١
- (١٩) انظر: الهوية في الشعر الأردني المعاصر، ص ٢٥٤
- (٢٠) الأدب في التراث الصوفي، محمد عبد المنعم فخاجي، مكتبة غريب، القاهرة، ط، بدون، ت، بدون، ص ٩
- (٢١) انظر: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، زكي مبارك، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ط: بدون، ص ٥٣
- (٢٢) انظر: وقفة مع "الأربعون" د محمد بن سعد بن حسين، جريدة الرياض، عدد ٩٦٣٥، تاريخ ٦/٧/١٤١٥هـ، الموافق ١٠/١١/١٩٩٤م.
- (٢٣) المصدر السابق، العدد ٩٦٣٥
- (٢٤) الأربعون، عبدالسلام هاشم حافظ، عبدالمقصود سعيد خوجة، جدة، ط: الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- (٢٥) على ضفاف الخليج، محمد بن سعد الدبل، مخطوط، ص ٢٨، ٢٩
- (٢٦) أثر القرآن الكريم في شعر الزهد في العصر العباسي الأول، ١٢٢هـ - ٢٣٤هـ، دراسة موضوعية وفقية، هالة فاروق العبيدي، رسالة جامعية، جامعة بغداد، ص ١٦
- (٢٧) سورة يوسف، الآية رقم ٢٠
- (٢٨) انظر: الجامع لأحكام القرآن، عناية هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م، ١٥٧/٩
- (٢٩) البحر المحيط في تفسير القرآن، أبو حيان التوحيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٩١/٥
- (٣٠) المصدر السابق، ٢٩١/٥
- (٣١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، نشر الدكتور أ. ي ونستك مادة (زهد)، دار الدعوة، اسطنبول، ١٩٨٦م، ٢٤٩/٣٤٨/٢



- (٢٢) انظر: أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، د ابتسام مرهون الصفار، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٤م، ط، بدون، ص ٥٥
- (٢٣) الأعمال الشعرية الكاملة، محمد إسماعيل جوهري، ٢٢٢٣/٢، ٢٢٤
- (٢٤) النغم الحزين، علي بن أحمد النعمي، من منشورات نادي الباحة الأدبي، ط: الأولى، ٢٠٠٠م، ص ٧١
- (٢٥) سورة ق، الآية رقم ١٨
- (٢٦) من قصائدي، علي عسيري، ص ١١١، ١٠٩
- (٢٧) انظر: المناجاة في الشعر العربي الحديث: د. سحر محمود عيسى، الحقوق محفوظة لدى المؤلفة، ط: بدون، (د.ت)، ص ٦٠
- (٢٨) جراح قلب، علي النعمي، نادي جازان الأدبي، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ، ص ٤٧، ٤٨
- (٢٩) انظر: الاتجاه الإسلامي في الشعر السعودي الحديث قيّمه الفنية في موازين النقد، محمد بن عبده الشبيلي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، رسالة علمية، ص ١٠٢
- (٤٠) ديوان وجوده ومرايا، ص ١٢
- (٤١) ديوان زفير الناي، يوسف أبو سعد، مطابع الجواد، الأحساء، ط: بدون، ١٤١٢هـ، ص ١٢٢، ١٢٣
- (٤٢) الأعمال الشعرية الكاملة، يحي توفيق حسن، ١٩٤
- (٤٣) مظاهر التناسل الديني في شعر أحمد مطر، عبد المنعم محمد فارس، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، رسالة جامعية، ص ١٨
- (٤٤) المصدر السابق، ص ١٩
- (٤٥) انظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط: السادسة عشرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٦
- (٤٦) سورة المؤمنون، آية ٤٤
- (٤٧) سورة النور، رقم الآية ٤٠
- (٤٨) سورة الرحمن، رقم الآية ٦٦
- (٤٩) سورة النمل، آية ٣٢
- (٥٠) سورة النور: الآية ٣٥
- (٥١) بياض، أحمد قرآن الزهراني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط: الثالثة، ٢٠٠٣م، ص ٢٥
- (٥٢) سورة مريم، الآية ٢٥
- (٥٣) انظر: هوية العنونة في الشعر السعودي المعاصر، عماد بن علي الخطيب النادي الأدبي في منطقة الباحة، ط: الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٠٥
- (٥٤) ديوان الأعمال الكاملة، مصطفى زقزوق، ص ٨٩
- (٥٥) سورة الأنفال، آية ٤٦
- (٥٦) سورة مريم، آية ١٨
- (٥٧) مركب ذكرياتي، عبد الرحمن العشماوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: الأولى، ٢٠٠٢م، ص ١٧٣
- (٥٨) ديوان الأعمال الشعرية الكاملة، ص مصطفى زقزوق، ص ١٥٩
- (٥٩) سورة محمد، آية ١٥
- (٦٠) سورة الإنسان، ٢١
- (٦١) سورة الإنسان، آية ٢١
- (٦٢) سورة الإنسان، آية ١٢
- (٦٣) قتاديل الريح، عبد الله باسراجيل، مؤسسة الانتشار العربي، ط: الأولى، ٢٠٠٢م، ص ٦٧
- (٦٤) أجزاء من الآيات من ٤ إلى ١٣ من سورة القصص.
- (٦٥) انظر: شعر عبد الله باسراجيل الدلالات الفنية والإنسانية، غريد الشيخ، ص ٢٧٨، ٢٧٩. وانظر: دراسات مضمونية وفنية في الشعر الإسلامي



كتاب الأبحاث  
الكتاب الأول

المؤتمر الدولي الثامن للغة العربية | ١٧٤  
١٣-١١ أبريل ٢٠١٩ الموافق ٦ - ٨ شعبان ١٤٤٠

المعاصر، د شلتاغ شراد، مؤسسة العارف، بيروت، ٢٠٠٢م، ص ٩٤

(٦٦) سورة الأعراف، آية ٩٦

(٦٧) ديوان تفاصيل في خارطة الطقس، ص ١٥٤، ١٥٥

(٦٨) سورة الزلزلة، آية ١، ٢

(٦٩) الأعمال الكاملة، عبد الله باسراحييل ٥٥٧ / ٢

(٧٠) تفسير القرآن العظيم، ٤ / ٥٦٥

(٧١) المعجم الأوسط للطبراني، الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، محمد الحسيني، دار الحرمين، ط: الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩١/٧، رقم الحديث ٧٢٤٤